جَدّتِي والشّاطِرُ حسن

(الجُزْء الأول)

جَـدّتِي الطَّيِّبَـةُ تَحْكِـي لَنَـا كُلَّ يَـوْمٍ حِكَايَـةً مُخْتَلِفَـةً، وَلَا أَدْرِي أَهِـيَ الْمُؤَلِّـفُ لِجَمِيـعِ هَـذِهِ الرِّوَايَـاتِ؟! أَمْ أَنَّهَـا تَمْتَلِـكُ مِـنَ الْقِصَـصِ مَـا تَسْـتَطِيعُ فَتْـحَ بِـهِ أَعْظَـمَ مَكْتَبَـةٍ عَرِفَتْهَـا الْأَرْضُ، وسِلْسِـلَةَ أَسَـاطِيرَ لِشَـابٍّ يُدْعَـى الشَّـاطِرَ حَسَـن، فَجَـدَّتِي مُغْرَمَـةٌ بِهَـذَا الشَّـابِّ مُنْـذُ أَنْ كَانَ طِفْـلًا حَتَّـى زَوَّجَتْـهُ فِي قِصَصِهـا لِبِنْـتِ السُّـلْطَانِ.

تَـرْوِي جَـدَّتِي أَنَّ الشَّـاطِرَ حَسَـنْ تَوَفَّـتْ وَالِدَتُـهُ وَوَالِـدُهُ وَهُـوَ طِفْـلٌ عُمْـرُهُ ثَـمَانِ سَـنَوَاتٍ، وَتَـرَكَ لَـهُ أَبُـوهُ إِرْثًـا وَعَلِمَـتْ بِـهِ أُخْتُـهُ الكَبِـيرَةُ، فَخَافَـتْ أَنْ تُعْطِيَـهُ الإِرْثَ فَيُنْفِقَـهُ عَـلَى اللَّعَـبِ والْحَلْـوَى.

كَانَتِ الْأُخْتُ الْكَبِيرَةُ كُلَّ فَتْرَةٍ تَخْتَبِرُهُ بِسُؤَالٍ: يَا شَاطِرُ حَسَن، إِنْ أَصْبَحَ مَعَك مَبْلَغٌ مِنَ الْمَالِ مَاذَا تَشْتَرِي؟! فَكَانَ الشَّاطِرُ حَسَن يُسرِعُ بِالْجَوَابِ: سَوْف أَشْتَرِي لَكِ صافِرَةً، ولِي صَافِرَةً ثُمَ نُصَفِّرُ فِي الصَّبَاحِ لِلطُّيُورِ الْمُهَاجِرَةِ.

فَتُدْرِكُ أُخْتُه الْكَبِيرَةُ أَنَّ عَقْلَهُ مَازَالَ صَغِيرًا لتُعْطِيَهُ مَالَ أَبِيهِ، فَتَسْأَلُه بَعْدَ عَامَيْن نَفْسَ السُّؤَالِ: إِنْ أَصْبَحَ مَعَك مَبْلَغٌ مِنَ الْمَالِ مَاذَا تَشْتَرِي بِهِ؟!

فَيُجِيبُ الشَّاطِرُ حَسَن: سَوْف أَشْتَرِي لَكِ طَبْلَةً وَلِيَ طَبْلَةً، ونُغَنِّي فِي الشَّوَارِعِ لنَمْلَأَهَا أَفْرَاحًا وَبَهْجَةً.

فَتَتَأَكَّدُ أُخْتُهُ الْكَبِيرَةُ أَنَّ عَقْلَهُ مَازَالَ صَغِيرًا لتُعْطِيَهُ مَالَ أَبِيهِ، فَتَنْتَظِرُ عِدَّةَ أَعْوَامٍ ثُمّ تُكَرِّرُ عَلَيْهِ السُّؤَالَ: يَا شَاطِرُ حَسَن إِنْ أَصْبَحَ مَعَك مَبْلَغٌ مِنَ الْمَالِ مَاذَا تَشْتَرِي بِهِ؟! فَيَقُولُ الشَّاطِرُ حَسَن: كُنْتُ لِأُتَاجِرَ بِهِ فِي بِلَادِ اللهِ، وَأَرْجِعُ لَكِ لأُسْكِنَكِ فِي قَصْرٍ كَقَصْرِ بِنْت السُّلْطَان، وَأَشْتَرِي لَكِ مِنَ الْمَلَابِسِ الْحَرِيرَ والْأَقْطَانَ، وَنَعِيشُ أَيَّامَنَا ولَيَالِينَا الْحِسَان، فِي وِدٍّ وَحُبٍّ وَرِضَىً وَأَمَانٍ.

هُنَا لاَمَسَتْ الْأُخْتُ الْكَبِيرَةُ فِي الشَّاطِرِ حَسَن رُشْدًا، فَأَعْطَتْهُ مِيرَاثَ أَبِيهِ عُمْلاتٍ ذَهَبِيَّةً، وَتَقُولُ لَهُ: اذْهَبْ فِي حِفْظِ اللهَّ سَافِرْ فِي بِلَادِ اللهَّ، وَأَنَا هُنَا أَنْتَظِرُك.

ثُمّ تَسْكُتُ جَدَّتِي عَنِ الْكَلَامِ، فَنَظَلُّ نَطْرَحُ عَلَيْهَا بَعْضَ الْأَسْئِلَةِ:

مَاذَا حَدَثَ لَهُ فِي رِحْلَتِه؟ هَل اشْتَرَى قَصْرًا كَقَصْرِ السُّلْطَان؟ احْكِي يَا جدَّتَنَا الطَّيِّبَةَ. فَتَقُولُ: غَدًا تَعْرِفُون. ونَظَلُ نَصِيحُ: لَا يَا جَدَّتِي احْكِي لَنَا يَا جَدَّتِي فَتَسْأَلنا هَذِه الأَسْئِلَة:

- لماذا كانت تسأل الأخت الكبيرة الشاطر حسن؟
- متى أعطت الأخت الكبيرة الشاطر حسن الإرث؟
- ما أحلام الشاطر حسن؟
- هل الجدة تحب الشاطر حسن؟
- ماذا يفعل الصغار عندما تسكت جدتهم عن الكلام؟

استمع للقصة

يُتْبَع.